ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

الحركة العلمية بدولة بني حفص ق10.8هـ/16.13م

الأستاذة: سميرة نميش
جامعة تلمسان

ملخص:

لقد شجع الاسلام منذ البداية على طلب العلم، كيف لا و أن أول اية نزلت في القران الكريم هي بعد بسم الله الرحمان الرحيم:اقرأ بسم ربك الذي خلق" من سورة العلق، فعمل المسلمون منذ البداية على تشجيع العلماء و الفقهاء ومختلف الفئات البشرية على طلب العلم، اذ ظهرت المدرسة التي تعد وسيلة لنشر الوعي والفكر الاسلامي، فكانت هي بدورها مكانا لالتقاء العلماء والطلبة، اضافة الى ذلك المساجد والكتاتيب وغيرها من المؤسسات الثقافية.

ان بلاد المغرب الاسلامي هي الأخرى قد أولت أهمية كبرى للجانب الثقافي والعلمي، فشيدت المساجد والكتاتيب وغيرها من المنابر العلمية والدينية، وعليه كان موضوع الدراسة الموسوم ب:**"الحركة العلمية بدولة بني حفص ق10.8هـ/15.13م"**

وفي هذه الدراسة سنسعى لتسليط الضوء على العوامل التي ساعدت على الازدهار الفكري والثقافي بدولة بني حفص وأشهر العلماء والفقهاء بها، كما سنتطرق الى العلاقات الفكرية والروابط الثقافية بين دولة بني حفص ومختلف الحواضر الاسلامية.

الكلمات المفتاحية: المدرسة، المساجد، العلوم، العلماء، دولة بني حفص.

ملخص باللغة الانجليزية:

The scientific movement in the state of Bhanu Hafs from 8-10 Hijri to 13-15 BC

Islam has encouraged us to ask for science according to the first verse in Quran called iqraa means read.So muslims tried always to encourage the scients and Fuqahaa and the different types of people to seek for science;because of that there emerged the school which one of the best ways to broaden conscience and Islamic thought and

thus Bhanu Hafs became an area where students and scientists met in addition to the mosques which are considered an important intellectual and scientific establishment to pour the different sciences.The Islamic Maghred countries have also tried to encourage the intellectual and scientific part .For this purpose they built the mosques and katatibs and other sources of scienAC to realise prosperity and developement for civilization.So Bhanu Hafs is one of the Islamic Maghreb countries which gave an extreme interest to the scientific religious movement for this reason was the topic of our study which is "The scientific movement in the state of Bhanu Hafs from 8-10 Hijri \ 13-15 AC to spotlight on the circumstances which helped in the prosperity of the scientific and cultural part in Bhanu Hafs in addition to the curriculum of learning and the most important establishments.

plus the most important sciences that Bhanu hafs had known;nevertheless their famous scientists and Fukahaa and the cultural and scientific relationships which existed between Bhanu Hafs and the other Islamic states.

The Key Words:
The school-The mosques -The Scientists -The Scients-The State of Bhanu Hafs

الحياة الثقافية في دولة بني حفص ق 8-10 هـ/13-15 م

بدأ نظام التعليم في العالم الإسلامي منذ منتصف القرن الخامس هجري، لأهميته البالغة ودوره الفعال في نشر الفكر الإسلامي، واحتضان المذاهب السنية بعيدا عن التيارات والأفكار المضادة التي تسعى من جهة لهدم الإسلام ومن جهة أخرى تتظاهر بنشره، فكان الحل للتصدي لمثل هذه الأفكار هو المدارس التي تعد وسيلة لنشر الوعي والفكر الإسلامي.

إن أول مدرسة بنيت في العالم الإسلامي هي تلك التي بناها أهل نيسابور، حيث بنيت المدرسة البيهقية كما انتشر بناء المدارس في باقي أرجاء العالم الإسلامي[1].

[1] عاشور، بوشامة: **علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (626-981 هـ/1228-1573 م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، مصر، 1991، ص.1.

وقد ظهرت المدرسة كمؤسسة نظامية بالمشرق عام 457هـ/1064م[1]، والتي افتتحت عام 459هـ/1060م، من قبل نظام وزير السلطان السلجوقي " ألب أرسلان " وذلك في كل من بغداد، البصرة، الموصل، نيسابور وغيرها. وقد اهتم الخلفاء بالمشرق بوضع قاعدة مهمة ألا وهي إنشاء المدارس من قبل الدولة نفسها وفي ذات الوقت تكون مستقلة عن المساجد، كما سعت لتوفير السكن للأساتذة والطلاب وتوفير العيش الكريم لهم، فبلغت حركة التعليم بذلك مرحلة الاكتمال، فكانت المدرسة المستنصرية ببغداد 630هـ/1233م أهم مدرسة في العصر العباسي من خلال بنائها وأقسامها، إذ كانت تضم دور القرآن الكريم، ودار الحديث، ودار للطب، زد عن ذلك كونها أول مدرسة يدرس فيها المذاهب الأربعة[2].

أما في بلاد المغرب والأندلس فكان التعليم مقتصرا على الكتاب والمساجد وعيادة الأطباء، والمكتبات الخاصة... وظل التعليم دون تنظيم رسمي إلى غاية القرن 7هـ[3] وأول مدرسة أنشأها سلاطين بنو حفص في القرن السابع هجري في الوقت الذي كان الجامع الأعظم يؤدي دوره التعليمي، إذ كان مخصصا لتدريس الكبار ومجالسة العلماء، أما الصغار فكان تعليمهم يقتصر على الكتاب والمساجد[4].

أولا: عوامل ازدهار الحياة العلمية بدولة بني حفص:

1. تشجيع الأمراء الحفصيين للعلماء ورعايتهم:

[1] محمد، مكيوي: **المؤسسة التعليمية في العهد الزياني القرن 8هـ/14م**، مجلة الفكر الجزائري، ع4، مخبر المرجعيات الفلسفية للتفكير البلاغي والنقدي، الجزائر، 2009، ص.92.

[2] نفسه، ص.93.

[3] أبو العباس، الغبريني: **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص.ص.100-101.

[4] عاشور، بوشامة، المرجع السابق، ص.1.

تمتع أمراء بني حفص بحبهم للعلم ومجالسة العلماء، فأبو زكرياء مؤسس الدولة كان عالما، ختم كتاب المستصفى[1] على يد الشيخ الرعيني السوسي[2]، وناظر على في النحو على بن عصفور[3] وجعل التعليم مجاني حتى يشجع الناس على الإقبال على التعلم كما ساهم الأمير أبو زكريا الثاني في الحركة العلمية، إذ منح طلاب المدرسة المعرضية منحا من الذهب والفضة حتى يشجعهم على التعلم، وجعل لشيخ المدرسة عشرة دنانير من الذهب، وفتح نافذة من منزله وجعلها ملاصقة للمدرسة حتى يسمع الدرس ويستفيد، وكان يحضر دروس الوعظ كل اثنين وجمعة، وحرص السلطان أبو العباس على حضور الدروس، واحتضن بن خلدون[4] وحماه طيلة بقائه في تونس وهذا خير مثال على رعاية أمراء بني حفص واحتضانهم للعلماء، واهتموا أيضا بالفقه ففرضوا ترتيب قراءة صحيح البخاري كل يوم بجامع الزيتونة[5]، كما حرصوا على إكرام العلماء وحسن وفادتهم وإنزالهم منازل تليق بهم، هذا ما جعل تونس محط أنظار العلماء والأدباء من كل مكان.

2. توفر المكتبات:

عمل أمراء بني حفص على تشجيع العلم والعلماء، فاهتموا بإنشاء وبناء المكتبات، فكان لكل مدرسة مكتبة خاصة بها، وألحقوا الزوايا بمكتبات غنية بالكتب الدينية مثل

---

[1] المستصفى : هو أحد مؤلفات أبي حامد الغزالي الشافعي، ولد سنة 450هـ وله مؤلفات أخرى أهمها: إحياء علوم الدين، الوجيزفي فروع الفقه الشافعي... ت 505هـ، ينظر: جميلة، مبطي المسعودي: **المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893هـ**، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية 1461هـ/2000م، ص.178.

[2] السوسي : هو محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي (و567هـ/ت662هـ) شيخ أبي زكريا الأول الحفصي، اشتغل بالعلم والإقراء مدة حياته، وناظر في النحو على ابن عصفور، ينظر: محمد، محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**،ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص.ص.101-108.

[3] السراج، الوزير: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص.144.

[4] محمد، العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص.542.

[5] السراج، الوزير، المصدر السابق، ص.158. ينظر أيضا: محمد، العروسي المطوي، المرجع السابق، ص.544.

القرآن، التفسير، وجوامع الحديث وكتب السير وكتب المناقب للأولياء الصالحين، فيذكر التيجاني: " أنه في القرن الرابع عشر كان يوجد عدد من الكتب في زاوية بعيدة عن المدن الكبيرة وهي لأولاد سهيل "[1].

كما أنشأ أمراء بني حفص مكتبات خاصة في قصورهم، فجمع أبو زكريا الأول سائر كتب مكتبة الصنهاجيين والأغالبة، وأضاف إليها ألوف الكتب حتى بلغت في عهده 36 ألف مجلد في شتى العلوم والفنون، وفي عهد المستنصر جعل مهمة الإشراف على المكتبة لأبي الحسن بن معمر الطرابلسي[2]. وقد أولى المستنصر عناية بالغة بهذه المكتبة فكان لا يسمح بترسيم تأليف في فهرستها حتى يدرس وينقد، وأوكل هذا إلى الأديب حازم القرطاجني[3].

وقد استمرت هذه المكتبة منهلا لرجال العلم وهواة الأدب والفنون حتى عهد أبي يحي اللحياني سنة 711هـ حيث أتى على معظم هذه الكتب فباعها[4]. وأكد العبدري أن الجامع الأعظم بالقيروان كان يحتوي على كتب قديمة ومن بينها مصحف يعود تاريخه إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان[5].

كما لا ننسى دور أمراء بني حفص في إنشاء المكتبات العمومية، فأول مكتبة أسست سنة 873هـ في المقصورة الموجودة في جامع الزيتونة زمن الأمير أبي فارس عبد العزيز الذي أمر بتأسيسها وأهداها كتبه التي كانت في مكتبته الخاصة لتكون في خدمة الطلبة[6]، وسن قوانين عدم خروج أي كتاب من المكتبة، والراغب في المطالعة أو النسخ يكون

---

[1] محمد، العبدري : **الرحلة المغربية**، تق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص.127.

[2] الطرابلسي: ولد بطرابلس سنة 609هـ، أديب وفقيه خطيب، مفوه، تولى القضاء في بجاية وباجة، توفي سنة 682هـ من قبل رئيس الدولة أبي الحسن بن أبي مروان في بعض القضايا، ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص.309.

[3] القرطاجني: حازم بن محمد بن خلف القرطاجني الأنصاري الأندلسي، نزيل تونس، ولد بقرطاجنة سنة 608هـ وبعد سقوطها نزل عند بني حفص، وهو أديب وشاعر اشتهر بمقصورته التي بلغت ألف بيت في مدح الخليفة المستنصر، توفي سنة 684هـ، ينظر: محمد، محفوظ، المرجع السابق، ص.؟. ينظر أيضا: جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.176.

[4] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.175.

[5] العبدري، المصدر السابق، ص.36.

[6] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.178.

داخلها وتحت إشراف مراقب، كما أقام لها موظفين مسؤولين على فتحها عند آذان الظهر وغلقها عند آذان العصر[1].

وفي عهد السلطان أبي عمرو عثمان تم بناء خزانة كتب بالمقصورة الشرقية في الجامع الأعظم سنة 854هـ[2]، وفي سنة 952هـ أضاف السلطان أبو عبد الله بن الحسن مقصورة بطرف جامع الزيتونة من الجهة الشرقية، كما أضاف لها كتب عظيمة الفائدة وعرفت هذه المكتبة بـ"العبدلية"[3].

3. الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى:

كانت الأندلس تزخر بالعديد من العلماء والأدباء في كل فنون الثقافة العربية والإسلامية، وبعد سقوط العديد من مدنها وولاياتها هاجرت طلائع العلماء الأندلسيين إلى بلاد المغرب واستوطن الكثير منهم إفريقية[4]، فكانت لهم مشاركة فعالة في العلوم النقلية والعقلية والطبيعية والفلسفية[5]، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل الثالث.

ثانيا: المؤسسات التعليمية بدولة بني حفص:

عرفت بلاد المغرب الأدنى نهضة علمية شاملة وذلك من خلال اتضاح الشخصية العلمية الإفريقية، ولعب الأمراء الحفصيين دورا في ذلك من خلال توفير الوحدة والاستقرار للناس والأمن والرخاء، فأتاحوا لكل ما من شأنه أن ينهض بالثقافة الحفصية وترقية البلاد، فعملوا على البناء والتشييد خاصة المراكز العلمية.

أ. المدارس:

كان التعليم في دولة بني حفص كغيرها من دول المغرب الإسلامي يتم في الكتاتيب لتليها مرحلة المساجد، وفي عهد الأمير أبي زكرياء الأول أخذ مساره الطبيعي، فأنشئت أول

---

[1] نفسه، ص.179.

[2] أبو عبد الله محمد، الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح وتع، محمد مضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص.119.

[3] نفسه، ص120.

[4] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.179.

[5] نفسه، ص181.

مدرسة في الشمال الإفريقي وهي مدرسة "الشماعية" في الثلث الأول من القرن السابع هجري وهي تقع في سوق البلاغجية في زنقة الشماعين[1].

وفي عام 642هـ أمر الأمير الحفصي أبو زكريا الثاني ابن السلطان أبي إسحاق بإنشاء المدرسة "المعرضية" وأحضر لها كتبا من كل الفنون العلمية[2]، ثم أنشئت المدرسة "المنتصرية" سنة 839هـ وكان ذلك في عهد السلطان الحفصي المنتصر إلا أنه مات قبل إتمامها، فأكمل بناءها أخوه أبو عمرو عثمان سنة 841هـ[3].

إن إنشاء المدارس لم يكن حكرا على الرجال وإنما شاركت نساء بني حفص في بنائها، فأنشأت الأميرة عطف[4] زوجة الأمير أبي زكريا المدرسة "التوفيقية" بعد وفاة زوجها، وكان ذلك في عهد ابنها المستنصر عام 695هـ[5].

وفي سنة 742هـ أنشأت الأميرة فاطمة شقيقة الأمير أبي زكريا المدرسة "العنقية" في عنق الحمل على نفقتها الخاصة، وأنشأت مدرسة "المعلمة" في العاصمة تونس وفي باقي المدن الأخرى، كانت مهمتها تعليم البنات تعليم منزلي ومهني، فيدربنهن على الشؤون المنزلية والصناعات المختلفة مثل: الغزل والخياطة والتطريز وغير ذلك من الأعمال الأخرى[6].

كما كان للشعب التونسي دورا بارزا في إنشاء المدارس فأسس أبو محمد عبد الله المرجاني مدرسته التي عرفت باسمه "المدرسة المرجانية"، وكذلك المدرسة المغربية التي

---

[1] ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص.134. ينظر أيضا: الزركشي، المرجع السابق، ص.26؛ عاشور، بوشامة، المرجع السابق، ص.4.

[2] السراج، المصدر السابق، ص.158.

[3] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.166. ينظر أيضا: عاشور، بوشامة، المرجع السابق، ص.5.

[4] ابن الشماع: **الأدلة البينية النور انية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: طاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص.62. ينظر أيضا: ابن قنفذ، القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1966، ص.322؛ الزركشي، المرجع السابق، ص.24.

[5] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.134.

[6] الزركشي، المرجع السابق، ص.51. ينظر أيضا: ابن الشماع، المصدر السابق، ص.62؛ جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.167؛ عاشور، بوشامة، المرجع السابق، ص.5.

أنشأها الشيخ أبو عبد الله المغربي[1]، ومدرسة "سيدي يحيى" التي تقع في درب العسال بناها يحيى السليماني مع جامعة سنة 747هـ[2]، المدرسة "العصفورية" التي أنشأها ابن عصفور[3]، وكانت حافلة بالعلماء وكبار الأدباء، والمدرسة "الحكيمية" التي أنشأها محمد بن علي اللخمي[4] المعروف بابن الحكيم[5]، ومدرسة "الحاجب بن تافراكين" والتي تقع في نهج سيدي ابراهيم الرياحي في تونس[6].

ب. الجوامع:

عرفت دولة بني حفص بتعدد جوامعها فنجد: "جامع الزيتونة" الذي كان يزخر بعدد من طلبة العلم الذي كان يقدر عددهم بثلاثة آلاف طالب، كانوا يتلقون فيه العلوم الشرعية وهي أكثر ما يدرس في الجوامع عادة، ومنها أيضا "جامع القصبة" الذي أسسه السلطان الحفصي أبو زكريا الأول سنة 629هـ، وكذلك "جامع التوفيق" أو "جامع الهواء" الذي بنته الأميرة عطف سنة 695هـ، ناهيك عن الجوامع الأخرى مثل: "جامع الحلق"[7]،

---

[1] أبو عبد الله : رجل من رجال العلم والصلاح، مؤسس جامع باب الجزيرة في المائة السابعة، ينظر: جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.168.

[2] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.168.

[3] ابن عصفور: هو أبو الحسن علي بن مومن بن محمد بن علي الحضرمي، ولد بإشبيلية سنة 597هـ، أديب ونحوي شهير، نزل بتونس، ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص.317.

[4] شمس الدين، السخاوي: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص.261.

[5] ابن حكيم محمد بن علي اللخمي: قائد جيش الأمير أبي بكر وسمي بابن الحكيم نسبة إلى مهنة الطب التي كان يمارسها أبوه، كان قائدا محنكا برز نجمه في احتلال إفريقية الشرقية وولاية إقليم باجة، كما كان ضحية حقد وحسد الحاجب بن تافراكين الذي دبر له مؤامرة جرده من خلالها من أمواله وممتلكاته، توفي سنة 744هـ، ينظر: السخاوي، المصدر السابق، ص.ص.261-262.

[6] ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1976، ص.224.

[7] جامع الحلق: موجود في حي باب الجديد، من ماثر أمة زنجية، قيل أنها أسسته في القرن الثامن هجري بثمن إسورة ذهبية، ينظر: جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.169.

جامع "التبانين" والمعروف بجامع "النفاتة"[1]، وجامع "الصفصافة"[2] الذي كان مقرا لعقد حلقات العلم بين رجال التصوف.

قدرت المساجد والجوامع في تونس في العهد الحفصي بمائتين جامع ومسجد كانت كلها تقوم بدور العبادة والتعليم وهما دوران لا يمكن الفصل بينهم[3].

ج .الزو ايا:

اهتم أمراء بني حفص بالزوايا وذلك للدور الفعال التي كانت تقوم به، وقد عرفت بنوعين:

النوع الأول: تلك الزوايا التي يتخذها رجال يدعون التصوف ويمارسون خلالها نشر علومهم بين الناس ثم إذا مات المتصوف يقبر في هذا المكان ويصبح ضريحه مكان للزيارة والتبرك[4] زمن أشهرها زاوية "سيدي بن عروس"[5]، وزاوية "سيدي الكلاعي"[6] وهي مقابلة للزاوية الأولى، وزاوية "سيدي قاسم الزليجي"، وزاوية "الشاذلي"[7] وغيرها من الزوايا التي كانت تقوم بدور تعليمي ولا سيما لأبناء القرى، التي كان الجهل ينتشر فيها خاصة فيما يخص الجانب الديني إذ وجب على الراغبين في التعلم والتثقف في الدين التوجه إليها.

النوع الثاني: الزوايا التي عرفت تطورا في القرن التاسع هجري، فأصبحت مكانا لإيواء المسافرين والغرباء، إضافة إلى كونها مقرا للعلم، ويرجع الفضل في إنشاء هذه

---

[1] جامع النفاتة: يقع في ربض باب السويقة، من ماثر الأمير الحفصي أبي عمرو عثمان. ينظر: نفسه، ص.170.

[2] نفسه، ص.171.

[3] نفسه، ص.134.

[4] نفسه، ص.170.

[5] هو أبو العباس أحمد ابن عروس : من أولياء الذين يدعون للتصوف، وزاويته جوار جامع حمودة باشا تونس، كانت له مكانة كبيرة عند سلاطين بني حفص، حتى أن بعضهم أوصى بأن يدفن بجوار ضريح سيدي بن عروس، ت سنة 808هـوعمره 90عام. ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.156.

[6] هو محمد بن أحمد بن عبد الله الكلاعي الصوفي له مؤلفات التصوف في "تحفة الحبيب وأنس اللبيب". ينظر: محمد، محفوظ، المرجع السابق، ج4، ص.172.

[7] هو نور الدين أبو الحسن الشاذلي ولد سنة 593هـ، أشهر المتصوفين في إفريقيا، عرف أتباعه بالشاذلية، ت 656هـ. ينظر: جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.173.

الزوايا إلى السلطان أبي فارس الذي أنشأ زاوية بـ"سيجوم"[1]، وجعل فيها جامعا للخطبة ورباطا للتعليم وملجأ للمقيمين والواردين، وكانت تعرف بـ"زاوية زميت"[2].

وجعل فيها جامعا للصلاة ومكانا للعلم والدرس ورباطا للمقيمين والواردين إليها[3].

وزاوية "الفندق" وزاوية "ابن الحداد" وزاوية "النزول" وزاوية "بنونة"، وغيرها من الزواي[4].

وقد انتهج علماء بني حفص في الأماكن التعليمية نظاما وطرقا للتدريس وهي كالتالي:

د. التعليم:

كان الطلاب يخضعون لنظام تعليمي شديد الوطأة، إذ كانوا يقرأون من الصباح إلى المساء في مختلف العلوم، كما أنهم معرضون للتوبيخ والعقاب عند التقصير في الدرس[5]. وقد كانت مدة الدراسة في المؤسسات التعليمية خمس سنوات ويرجع بن خلدون[6] ذلك إلى تفوق أهل تونس، لأن الدراسة في بلاد المغرب ستة عشرة عاما مع تنوع برامج الدراسة والعطل فيها قليلة، والأعياد فقط هي عيد الفطر وعيد الأضحى إضافة إلى يومي الخميس والجمعة.

وتوفرت هذه المدارس على بيوت ملحقة بها لإيواء الفقراء توزع حسب مستحقيها، والعيش بها عيش زهد وقناعة، ومتن واجب الطالب أن يتدبر أمر غذائه لوحده والهدف من ذلك هو الاعتماد على الذات، ومنع على الشيوخ تقديم المساعدة إلا إذا لمسوا منهم الحاجة[7].

---

[1] سيجوم: مكان السبخة معروفة بالسيجومي الآن قرب الملاسين من ضواحي العاصمة، بها ضريح الولي حسين السيجومي، وقد خربت من الأعراب. ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.146.

[2] الزميت: مدينة بناها السلطان أبي عمرو عثمان بنى بها زاوية وهي من أراضي خصبة وكانت بها أبراج استخدمت للمراقبة. ينظر: الوزان، الفاسي: **وصف إفريقيا**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص.67.

[3] السراج، المصدر السابق، ص.197.

[4] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.157. ينظر أيضا: ابن الشماع، المصدر السابق، ص.124.

[5] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.171.

[6] عبد الرحمان، ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص.432.

[7] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.172.

وعن نظم الامتحانات فكانت هناك الإجازة[1]، وتكون من الشيخ للطلبة المتفوقين الذي يسمح لهم التدريس مكان شيوخهم[2].

أما عن طريقة للتدريس فلم يكن هناك سبيلا ولا منهجا متبعا، فالكتب كانت بسيطة وغير محددة للدراسة ، وكان لكل شيخ طريقته ومنهجه في التدريس[3]، فهناك من كان يقسم اليوم إلى ثلاث حصص:

الأولى: بعد صلاة الصبح تخصص لتفسير القرآن الكريم.

الثانية: من الضحى إلى آذان الظهر تخصص للفقه ومبادئه ويحضرها 15 طالبا.

الثالثة: وتكون بعد صلاة الظهر يحضرها الطلبة الكبار ولا يتعدى عددهم 10 طلاب، وتكون عادة لتجويد القرآن الكريم إلى آذان المغرب وفيما بعد تتحول إلى زاوية من الزوايا، وبعد العشاء يعود الشيخ لبيته لتحضير درس الغد[4].

والطريقة السائدة هي طريقة الإلقاء والتي تتمثل في إلقاء الشيخ بعض الأسئلة على تلاميذه ومناقشتهم في المواضيع المطروحة[5].

ثالثا. العلوم والعلاقات الثقافية:

أصبحت تونس محط أنظار علماء المسلمين الذين أصبحوا يتوافدون عليها من كل مكان، لينهلوا من علومها ويستفيدوا من معارفها وقد أعجب العبدري بها فمدحها قائلا: "لا تنشد بها ضالة للعلم إلا وجدتها، ولا تلتمس بها بغية إلا استفدتها، وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما، ولا موردا من موارد المعارف إلا رأيتها حوله واردا وحائما"[6].

العلوم النقلية:

---

[1] الإجازة: هي إذن وتصويغ وهي وهي إذن من المعلم لتلميذه بنقل العلم عنه وقد بدأت مع العلم الحديث. ينظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث العربي، القاهرة، 1972، ص.252.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص.ص.149-152.

[3] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.173.

[4] نفسه، ص.174.

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص.356.

[6] العبدري، المصدر السابق، ص.142.

وقد عرفها ابن خلدون بأنها: "العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول"[1].

أ- القرآن الكريم:

توصل أهل تونس إلى معرفته وتعلم أحكامه وحفظه، فظهرت كتب التفاسير التي تسهل للناس فهم القرآن وتدبر معانيه، فاعتمدوا على كتاب "الزمخشري"[2]، و"الكشاف" الذي شرحه محمد عطية وقد وصل إلى المغرب في القرن 14م[3]، وكذلك كتاب "الكشف والبيان في تفسير القرآن" للثعلبي.

ومن المفسرين نجد "أحمد بن محمد البسيلي الجزائري"، كان مدرسا بالمدرسة الحكيمية توفي عام 484هـ[4]، "ابن بزيزة عبد العزيز أحمد التميمي القرشي"، وهو محدث ومفسر وراوية توفي سنة 662هـ، له كتاب في التفسير جمع فيه بين تفسير بن عطية وتفسير الزمخشري[5].

ب- الحديث:

أهم الكتب التي برزت "صحيح مسلم"، "صحيح البخاري"، "سنن الترمذي"، "النسائي"، "أبو داود"، أما الشروحات فقد ظهرت العديد منها شرح على صحيح مسلم لأبي محمد بن عمر الوشتاتي وهو قاضي الجزيرة القبلية في عهد أبي فارس الحفصي، درس في تونس، وهو مفسر ومحدث وكتابه في الحديث المسمى "إكمال إكمال المعلم" الذي لقي اهتمام المحدثين في العهد الحفصي، وكذلك "كتاب المازري"[6]، والقاضي "عياض" و"النووي" و"القرطبي"[7].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص.435.

[2] هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، من كبار أئمة العلم والتفسير واللغة والدين والآداب، ولد عام 467هـ وتوفي عام 538هـ له عدة مؤلفات من بينها المفصل، أطواق الذهب، الكشاف،... وهو أشهر كتبه تناول فيه تفسير القرآن الكريم. ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص.364. ينظر أيضا: ابن خلدون، المصدر السابق، ص.440.

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص.ص.143-145.

[4] الزركشي، المصدر السابق، ص.29.

[5] نفسه، ص29.

[6] الغبريني، المصدر السابق، ص.382.

[7] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.183.

ومن أشهر المؤلفات في الحديث نجد "المستوفى في رفع أحاديث المستصفى" و"جوامع الكلام النبوية" و"سنن القوم في آداب الليلة واليوم" للمحدث التونسي "ابن عربها عثمان بن عتيق القيسي المهدوي" والمتولي للقضاء سنة 659هـ[1].

و"عبد المهيمن بن محمد الحضرمي"، محدث كانت له خزانة كتب نفيسة تزيد عن ثلاثة آلاف في الحديث والفقه والعربية، وقد اشتهر بكتابه "أربعينية تساعية"[2].

وقد برز أيضا "بن بزيزة" الذي له عدة مصنفات من بينها "الإسعاد في مقاصد الإرشاد"، وله شرح في الأحكام الصغرى، وشرح الأحكام الكبرى لعبد الحق الإشبيلي[3].

ج- الفقه:

وهو أكثر العلوم تطورا ودراسة ويعود الفضل في ذلك إلى عودة المذهب المالكي الذي كان سائدا في بلاد المغرب[4]، ومن أهم التآليف التي تناولت المذاهب الفقهية نجد الفقيه "محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد السلام" المعروف بـ"ابن الطير" (ت 675هـ) إذ اختصر كتاب "المستصفى" للغزالي في أصول الفقه، وأيضا الفقيه "القيسي الصفاقسي ابراهيم بن حمد" (697هـ/748هـ) منها "تقييد علي بن الحاجب" وجزأ ألفه في أسماع المذنين خلف الإمام، وأيضا بن راشد القفصي (ت736هـ) ومن مؤلفاته "الثاقب في شرح الحاجب"[5].

ويعد الإمام "محمد بن محمد بن عرفة بن حماد الورغمي" (ت716هـ) فاتح باب الاجتهاد في العصر الحفصي، فرحل إليه الناس من المغرب والأندلس وكل البلاد العربية له ستين ألف مجلد، وكان دائم النظر في المدونة[6]، زمن مؤلفاته "مختصر الحوفي في الفرائض"، "المبسوط" في الفقه[7] فيه تسعة أجزاء وغيرها من الكتب، وهو يعتبر آخر كبار المجددين[8].

---

[1] الشماع، المصدر السابق، ص.ص.53-54.

[2] محمد، محفوظ، المرجع السابق، ص.ص.290-291.

[3] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.184.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص.449.

[5] العبدري، المصدر السابق، ص.147.

[6] الغبريني، المصدر السابق، ص.112. ينظر أيضا: محمد، محفوظ، المرجع السابق، ص.ص.19-23.

[7] ابن الشماع، المصدر السابق، ص، 27.

[8] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.190.

د- الطرق الصوفية:

تعددت الطرق الصوفية فهناك "الشاذلية" نسبة للشيخ "نور الدين أبو الحسن الشاذلي(593هـ/656هـ)[1]، و"العروسية" نسبة إلى "أحمد بن عروس الهواري" (778هـ/868هـ)، "الشابية" نسبة للشيخ "أحمد بن مخلوف الشابي" (803هـ/966هـ).

ولم يقتصر التصوف على الرجال بل برزت مجموعة من النساء ومن بينهن "عائشة بنت عمران بن الحاج سليمان" (589هـ) بقرية منوبة.

ومن أشهر المؤلفين نجد "علي بن عمر بن محمد أبي القاسم الهواري" (584هـ)، "مناقب الأولياء وبيان تربتهم ومزاراتهم" و"مناقب أبي الحسن الشاذلي" و"أبي سعيد الباجي"[2].

علوم اللغة العربية:

أ- النحو:

حرص المسلمون على تعلم النحو والأدب والبلاغة لصلته الوثيقة بعلوم الدين ودوره في تسهيل فهم أحكامها. فدرس طلاب العلم كتاب "سبويه"(148هـ/180هـ) وهو إمام النحاة وأول من بسط علوم النحو، و"ألفية بن مالك"، و"كتاب الجمل" لـ"الزجاجي" شيخ العربية ولد 337هـ من أهم كتبه "الجمل الكبرى"...، "المفصل للزمخشري"، وكتب بن عصفور... وغيرها كما قام أدباء تونس بوضع شروحات ومختصرات على هذه الكتب تسهيلا لطلبة العلم، ومن أشهرها "شرح حاشية الكشاف" و"شرح شواهد المقرب" لـ"ابن القصار"(ت 790هـ) بتونس، و"علي بن محمد بن علي القرشي القلصادي"(815هـ/891هـ)[3].

ب- البلاغة:

[1] نفسه، ص.193.

[2] محمد، محفوظ، المرجع السابق، ص.227.

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص.72.

أما البلاغة فلم تحظى باهتمام علماء إفريقية ويرجع بن خلدون السبب إلى كونهم يعتبرون العلوم البلاغية (...شيء كمالي في العلوم اللسانية)[1]. في حين التزم النثر بجانب من التكلف والإكثار من المحسنات البديعية فكان الأديب يكلف نفسه عناء كبيرا لإيصال المعنى، وقد تمكن بن خلدون من إدخال فن الترسل وهو مطابقة الكلام المقتضى الحال وإطلاق الكلام بترسل بدون سجع إلا في النادر[2].

ومن المؤلفات نجد "تحفة الدروس ونزهة النفوس"، و"الدر النظيم ونفحات النسرين في مخاطبة بن شبرين" وهي لـ"عبد الله محمد بن أحمد التجاني" (675هـ)[3].

ج- الشعر:

أما الشعر فكان أشد نقاوة وأكثر فصاحة من لغة النثر[4]. فكان الأمير أبو زكريا شاعرا وله ديوان شعر ويتولى الفصل أو الحكم على شعر الشعراء في البلاط الحفصي[5]، أما النساء اللواتي اشتهرن بالشعر نجد "زينب بنت إسحاق إبراهيم"، من البيت التجاني وقد كانت ذات خيال واسع، وأيضا "خديجة المعافري" التي اشتهرت بأدبها وفصاحتها ورقة شعرها[6].

د- الموسيقى:

أما الموسيقى فكانت مولدة بين طريقتي أهل المغرب والمشرق وهي أخف من طريقة أهل الأندلس وأكثر نغما[7].

التاريخ والجغرافيا:

عاصر دولة بني حفص مجموعة من المؤرخين كان لهم أثر في نقل تاريخ الموحدين وبني حفص ومن بينهم:

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص.552.

[2] نفسه، ص.120.

[3] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.199.

[4] العبدري، المصدر السابق، ص.50.

[5] الزركشي، المصدر السابق، ص.ص.28-50. ينظر أيضا: الغبريني، المصدر السابق، ص.183.

[6] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.209.

[7] الغبريني، نفسه، ص 183.

- ابن النخيل محمد بن ابراهيم بن عبد العزيز بن نخيل كان كاتبا عند والي إفريقية، كتابه "تاريخ الدولتين الحفصية والموحدية"[1].

- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد بن الحسن جابر الحضرمي.

- أبو العباس أحمد بن حسن بن القنفد صاحب كتاب "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، إذ فيه سرد الأحداث التاريخية يبدأ من نشأة دولة بني حفص إلى انتهاء الكتاب 806هـ[2].

- أبو عبد الله أحمد بن الشماع صاحب كتاب "الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية"[3].

أما في الجغرافيا فقد برز العبدري الذي جمع في رحلته بين الوصف الجغرافي الدقيق للأحوال المناخية للمدن والبلاد التي زارها مع ذكر أهم المسالك والممرات والوصف الثقافي والعلمي[4].

العلوم العقلية:

أ- علم الطب:

ففي عهد أبي زكريا الحفصي برز "أحمد بن محمد بن الحشا أبو جعفر" صاحب كتاب "مفيد العلوم ومبيد الهموم" وهو يذكر الألفاظ الطبية الموجودة في كتاب المنصوري لأبي بكر الرازي، كما اشتهر "أحمد بن أبي العباس الخميري" طبيب تتلمذ على يد الصقالبة، والطبيب "عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمان التونسي صاحب كتاب "الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون"[5].

ب- علم الفلك:

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص.111.

[2] ابن قنفد، المصدر السابق، ص.ص.37-41.

[3] ابن الشماع، المصدر السابق، ص.ص.16-19.

[4] العبدري، المصدر السابق، ص.ص.5-9.

[5] محمد، محفوظ، المصدر السابق، ص.207.

عرف الحفصيون بعلم الأزياج والزيج جدول حسابي يبين مواقع النجوم ويحسب سير الكواكب ويستخرج التقويم[1]. ومن أشهر المؤلفات "تسهيل المطالب في تعديل الكواكب" وكتاب "شرح منظومة أبي الحسن علي بن أبي الرحال القيرواني" وهو كتاب في علم النجوم لابن قنفد.

ج- علم الحساب:

وقد اهتموا به لضرورته في تقسيم التركات فكان الطلاب يدرسون المبادئ الأولية للحساب حتى يتمكنوا من معرفته وكذلك علم المنطق حيث كان يدرس كتاب في المنطق وهو "الجمل" للخوجي[2].

العلاقات الثقافية والروابط الفكرية بين دولة بني حفص ومختلف الحواضر الاسلامية:

العلاقة مع الأندلس:

تسبب العدوان الصليبي على مدن المسلمين في الأندلس إلى هجرة الآلاف من الأندلسيين فرارا بدينهم من وحشية الإسبان، فاتخذوا من التعليم مهنة للارتزاق وكانت دولة بني حفص آنذاك في بداية ظهورها وقد كانتفي حاجة إلى هؤلاء العلماء لبناء صرحها الحضاري والاستفادة منهم في جميع المجالات، وقد ظهر الأثر جليا في المجال الأدبي وذلك لكثرة الأدباء الذين هاجروا إليها مثل "ابن الأبار القضاعي البلنسي"، أديب وشاعر وحافظ أصله من رندة، وكان كاتب الأمير الحفصي أبي زكريا الأول، واستقر في بجاية[3].

وكذلك "أبو المطوف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي" (580هـ/658هـ) عرف بشدة حرصه على خدمة الملوك. دون أن ننسى "ابن عصفور" وهو من إشبيلية (597هـ/669هـ)، أما في الطب "ابن البيطار" وكان عالما بالأعشاب[4]

العلاقة مع صقلية:

بعد سقوط صقلية في يد النورمان سنة 484هـ، هاجر إليها العديد من العلماء والأدباء ومن بينهم "المازري"، الذي كان يمنح الطلبة إيجازات علمية[5]. وكانت الاستفادة

[1] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.215.

[2] نفسه، ص.216.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص.ص.25-26.

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص.318.

[5] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.232.

منهم في المجال الطبي ومن بينهم "أحمد بن عبد السلام الشريف الحسيني الصقلي أبو العباس الطيب" كان يدرس الطب في جامع الزيتونة[1].

العلاقة مع المشرق:

للرحلة دور كبير في إنعاش الحركة الفكرية وقد كان لها أثر في انتقال مؤلفات المغاربة إلى المشرق والعكس...

فالمذهب المالكي لم ينتشر إلا بفضل المشرق وخاصة في مصر التي كانت تعد أكبر قطر إسلامي، فيقول بن خلدون: "...ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم إيوان الإسلام، وينبوع العلم والصنائع"[2]، فرحل إليها تلامذة "فخر الدين الرازي" وكذلك رجال التصوف ومن بينهم "أبي الحسن الشاذلي"[3].

وفي القرن التاسع هجري وجد الرحالة المصري "عبد الباسط بن خليل" الذي وصف نزهة قام بها في ضواحي تونس الجنوبية صحبة مجموعة من الشعراء الأندلسيين[4].

العلاقة مع باقي دول المغرب:

امتدت الصلات الثقافية بين تونس وفاس التي كانت تعد أرقى العواصم الإسلامية ثقافة. فكان علماء فاس يرحلون إلى تونس للحصول على إجازات علمية من علمائها فحصل الرحالة "محمد بن سعيد بن محمد الرعيني الفاسي" على إجازة من القاضي التونسي "ابن عبد السلام"[5]، فعند قدوم السلطان المريني أبو الحسن إلى تونس عقد مجالسات ومناظرات بحضور طائفة من كبار علماء تونس وكان القاضي "ابن عبد السلام" يناقشهم الواحد تلو الآخر[6].

ان الحياة الفكرية والثقافية بدولة بني حفص شهدت نشاطا فكريا وازدهارا ثقافيا ، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى الى علماء بني حفص الذين كان لهم دورا هاما في انعاش

[1] محمد، محفوظ، المصدر السابق، ص.241.
[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص.434.
[3] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.234.
[4] الغبريني، المصدر السابق، ص.180.
[5] محمد، محفوظ، المرجع السابق، ص.ص.246-247.
[6] جميلة، مبطي، المرجع السابق، ص.235.

الحركة العلمية من خلال تشجيع العلماء وتوفير المرافق الضرورية التي تساعدهم على التعلم ونشر العلم، كما أن الطبيعة الدينية لعلماء بني حقص ساهمت في تفوق العلوم الدينية دون غيرها، وقد ساعدت الهجرة الأندلسية على تنوع العلوم، ووفود العديد من العماء الذين ساهموا بدورهم في تحقيق الامتزاج الحضاري بين الحاضرتين، بالاضافة الى ذلك شهدت دولة بني حفص العديد من المناظرات العلمية بين مختلف العلماء خاصة أولئك الذين كانوا يتجهون لأداء مناسك الحج.